الترجمة
في العصر العباسي

دكتور جلال حسني سلامة
جامعة القدس المفتوحة
منطقة نابلس التعليمية

الترجمة في العصر العباسي

مقدمة

وصف الباحث علي عبد الباقي الترجمة بقوله :"إن الترجمة مجـال خصـب، ويجب أن ننظر إليه نظرة جادة، ونؤمن بأننا أمام قضية ذات أهمية فائقة، لأنّها تفتح الحوار مع الآخرين، هي نافذة مهمة على العلم، وكانت عبر القرون وسيلة أساسـية لنقل المعارف والثقافات المختلفة من شعب إلى آخر، فالتعرف على اللغة ليس مجرد معرفة لغوية، لكن عندما نتعرف على لغة جديدة، نتعرف على عالم جديـد كمـا أن الترجمة أيضاً وتعلم اللغات وسيلة من وسـائل التفـاهم والتعـارف بـين الثقافـات والشعوب[1].

والترجمة سواء كانت شفوية أم مكتوبة، هي دون شك قديمة قدم الكلام والكتابة، فهناك مترجمون يعودون إلى عصر الفراعنة في مصر والبابليين في بلاد الرافـدين، وليس للترجمة بداية تاريخية محددة بدقة، بل هي انطلقت منذ أول تواصل ثقافي تـم بين شخصين غريبين عن بعضهما البعض، ومنذ أول تفاعل حضاري بـين ثقـافتين مختلفتين متباعدتين[2]، فالتفاعل بين الحضارات أمر لا مفّر منه... وأشد ما يكون هذا التفاعل حين تكون الحضارة الناشئة في دور الاقتباس والتلقي، فإذا ما تجاوزته إلـى دور الهضم والتمثيل، استحال ما أخذته إلى دمٍ قوي نشيط يساعدها على بدء عمليـة الخلق والإبداع، هذه العملية التي تعطيها طابعها الخاص وشخصيتها المميزة ككـائن مستقل واضح الخصائص.[3]

---

١ عبد الباقي، علي. محاضرته: "حين تكون الترجمة وسيلة للحوار مع الآخر ٢٠٠٦/١٠/١٧ www.islammemo.occ

٢ قصيبات، محمد. مؤتمر الترجمة الثاني- بنغازي، ليبيا، ١٩- ٢٠٠٦/١١/٢٠

٣ الرافعي، مصطفى. التراث العربي، ص١-١٦.

وتعود بدايات الترجمة العلمية في الإسلام إلى العصر الأموي، حيث نجـد أن خالد بن يزيد (ت85هـ/704م)[٤] قد صرف اهتمامه إلى ترجمة الكتب الطبيةّ وعلـم النجوم والكيمياء[٥] واعتمد بالدرجة الأولى في هذا الأمر على بعض العلماء اليونانيين الذين كانوا يقطنون مصر، وبخاصة أن هؤلاء كانوا يتقنون اللّغـة العربيـة نظـراً لاحتكاكهم بالعرب في مصر.[٦] وكان هو نفسه – أي خالد بن يزيد- قد تلقى علومـه في مجالي الكيمياء والطب[٧] على يد أحد رهبان الروم ويدعى "مريـانس الراهـب"[٨]، وحين سئلً عن سبب تحببه بالعلم والترفّع عن الخلافة، كان رده يبدو في رغبته فـي تقديم من كان يجهله من العلم إلى إخوانه ومجالسيه، وأنّه لا حاجة بأمر الخلافة ليرى من يريد التقرب منه الاستئثار بمنفعة شخصية أو يرى من هو مجبر علـى طاعتـه والخضوع له[٩]، فنال بحق لقب "حكيم آل مروان"[١٠]، ولكن لم يكن نشاط خالـد هـذا سوى محاولة فردية في ظل دولة كانت تعير العمارة والفن والتوسع فـي الفتوحـات الإسلامية أكثر من اهتمامها بالعلن وحوار الحضارات.

---

٤ يذكر البعض أنه توفي سنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م، وكان يكنى "أبو هاشم خالد بن يزيد ين معاوية بن أبي سفيان. ينظر: ابن صاعد الأندلسي. كتاب طبقات الأمم، ص٤٨. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٢٤. اليافعي. مرآة الجنان، ج١، ص٢٠٩.

٥ النديم. كتاب الفهرست، ص٤١٩.

٦ المصدر نفسه، ص٣٠٣.

٧ ابن صاعد الأندلسي. طبقات الأمم، ص٤٨. ابن الطقطقي. الفخري في الآداب السلطانية، ص١١٩. اليافعي.مرآة الجنان، ج١، ص٢٠٥-٢٠٦. ابن الأثير. الكامل، ج٤، ص١٢٥. الذهبي. سير أعلام النبلاء، ص٣٨٣.

٨ ابن خلكان. وفيان الأعيان، ج٢، ص٢٢٤.

٩ النديم. الفهرست، ص٤١٩.

١٠ المصدر نفسه، ص٣٠٣.

الترجمة في العصر العباسي:

ولما كانت العمارة والفن المعماري في المسـجد الأمـوي بدمشـق والمسـجد الأقصى وقبة الصخرة بالقدس سمه مميزة للحضارة العربية الإسلامية فـي العصـر الأموي، فإن تأسيس دارٍ للترجمة وتبني نشر العلم والثقافة مـن خـلال اسـتقطاب واحتضان خيرة العلماء والمفكرين والمترجمين من مختلف الجنسـيات والقوميـات الفارسية واليونانية واليهودية والمسيحية، تعبر عن رغبة حقيقية لخلفاء بني العبـاس الأوائل في شد انتباه العالم عن الإنجازات العمرانية والعسكرية للأمويين، والالتفـات إلى إنجاز علمي حقيقي، يجسد فكرة حوار الحضـارات والتعـايش بـين العـرب والمسلمين وبين غيرهم من الشعوب والجنسيات المختلفة.

ولعلّ أحد أهم العوامل والأسباب التي جعلت الترجمة تنال أهميتها ومكانتها في هذه الحقبة من تاريخ الأمة الإسلامية، هو إدراك العباسيين – خاصة وعامـة- فـي إتاحتها الإنتاج الأدبي من نصوص علمية وأدبية وخلافه، لمن لا يستطيع القراءة في لغته الأصلية، فأياً كانت اللغة المكتوب بها النص، سيظلّ دائماً عدد قرائه في لغتـه الأصلية أقل من عدد القراء المتاحين على نطاق أوسع.[١١] فوجـد العباسـيون فـي الترجمة إعفاء لهم من قراءة النصوص والمعلومات بلغتها الأصلية وتداوي جهلهـم اللغات الأجنبية، كما أنّها في ميادين الأنشطة الإنسانية كافة، كانت دائماً عاملاً قويـاً من عوامل الرقي والتطور.

وفي هذا المقام يقول "نيكلسون" إن المسلمين في العصـر العباسـي انطلقـوا يجوبون بلاد القارات الثلاث، بحثاً عن ينابيع الثقافة محلّقين فوق بسـاتينها كالنحـل ليعودوا بعد ذلك بالشهد إلى طلبتهم المتعطشين له، مصنّفين أعمالهم بما بـذلوه مـن

١١ دوليل، جان. تاريخ الترجمة، ص٢٢-٢٧.

جهد متواصل، حتى أصبح أشبه ما يكون بدوائر المعارف التي كان لها أكبر الأثـر في نقل هذه العلوم الحديثة إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل.[١٢]

فعلى الرغم من أن الخليفة العباسي الأول السفّاح[١٣]، كان يسعى فـي بـدايات حكمه إلى توطيد أركان الأمن في دولته واستقرار الأوضاع السياسية فيها بعد مجابهة منافسيه واقتلاع جذور الفتنة في الداخل والخارج، فإن هذا كلّه لم يحل دون أن يعير العلم ولو جزءاً يسيراً من اهتماماته المتشابكة، فخالط العلماء والأدباء، وورد علـى لسانه قوله: "إنّما العجب ممن يترك أن يزداد علماً، ويختار أن يزداد جهلاً" ولما سئل عن معناه، أجاب: هو الذي يمتنع عن حضور حلقات العلم ومسامرة العلماء ويختـار اللّهو ومجالسة النساء والجواري.[١٤] وامتداداً لهذا الأمر، نجد نية صادقة وعملاً جاداً قد بدأ يرى النور في عهد خليفته الثاني أبو جعفر المنصور[١٥]، تمثـل فـي ترجمـة مجموعة صغيرة من تراث الشعوب والحضارات القديمة في عاصمته بغداد[١٦]، التـي جعل منها منزلاً يؤمه العلماء وطلبة العلم حين نقل إليها مجموعات لا بأس بها مـن الكتب والمؤلفات تحمل عناوين مختلفة في صنوف العلم والمعرفة[١٧].

---

١٢ توني عبد اللطيف، أحمد.، العلاقات الدبلوماسية، ص ١٣٧-١٣٨.

١٣ هو عبد ا بن محمد بن علي بن عبد ا بن العباس بن عبد المطلب، بويع بالخلافة ١٣٢هـ/٧٥٠م، وتوفي ١٣٦هـ /٧٥٣م ينظر: ابن الطقطقي. الفخري في الآداب اللطانية، ص١٥١. ابن الأثير. الكامل، ج٥، ص٤٦١.

١٤ المسعودي. مروج الذهب، ج٣، ص٢٧٨.

١٥ تقلّدالخلافة ١٣٦هـ/٧٥٣م وعمره "٤١" سنة، وتوفي ١٥٨هـ/٧٧٤م، حيث دامت ولايته حوالي ٢٢ عاماً ودفن بمكة وعمره "٦٣" سنة. ينظر: المسعودي. مروج الذهب، ج٣، ص٢٩٤. ابن خلدون. العبر، ج٣، ق٢، ص٤٣٣.

١٦ الجهشياري. كتاب الوزراء والكتاب ص١٠٠. الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد، ج١، ص٦٧.

١٧ ابن كثير. البداية والنهاية، ج١٠، ص١٠٣.

ويعتقد أن هذا الخليفة قد سبق غيره من خلفاء بني العباس في تبني فكرة تأسيس وإنشاء دار خاصة بدراسة الكتب الأجنبية وترجمتها، فتشير بعض المصادر التاريخية المتوافرة إلى أن أبا جعفر المنصور قد خرج من عاصمته بغداد قاصداً بـلاد الـروم بقصد خدمة العلم، والاطلاع على ما تحويه بلادهم من نفائس وكنوز علمية[١٨]، ولكنه عجز –كما يبدو- أن يقنعهم بفائدة نقلها إلى بغداد، فاكتفى بانتقاء مجموعة من الكتب المتعلقة بعلوم الطب والفلسفة وعلم النجوم من أجل ترجمتها إلى العربية، وهذا ما دفع البعض إلى الاعتقاد بأن المنصور هو أول من سعى إلى إحياء تراث الأمم الغابرة[١٩]، ويصفونه بأنه: "من عظماء الملوك وحزمـائهم وعقلائهـم وعلمـائهم وذوي الآراء الصائبة والتدبيرات السديدة"[٢٠].

وواصل مسيرته العلمية الخليفة هارون الرشيد[٢١] الذي أثـر فيـه حبـه للعلـم وإجلاله للأدباء والعلماء، وعنايته الخاصة بالرحلات العلمية والاطلاع على أمهـات الكتب، ويذكر في هذا الشأن أنه قصد ووالديه الأمين والمأمون الديار المصرية وزار مكتباتها[٢٢]، ويبدو أنه هو الآخر كان يفكر جدياً بنقل تراث الأمم السالفة إلى عاصمته بغداد[٢٣] عندما اتخذ قراره بتأسيس بيت الحكمة، وعين فيه خيرة العلماء والمتـرجمين من مختلف الجنسيات حتى ذاع صيته وغدا قبله لطالبي العلوم والمعرفة[٢٤].

١٨ الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٨٣.

١٩ حاجي خليفة. كشف الظنون، ص٣٤.

٢٠ ابن الطقطقي. الفخري في الآداب السلطانية، ص١٥٩. الجاحظ. البيان والتبيين، ج٣، ص٣٦٧.

٢١ تولي الخلافة ١٧٠هـ/٧٨٦م، وكان يكنى أبا جعفر وأمه الخيزران، وتوفي بطوس ١٩٣هـ/٨٠٨م في خرسان التي كانت قد فتحت أيام الخليفة الراشدي عثمان بن عفان، واستمر حكمه (٢٣) سنة ونيف. ينظر: المسعودي مروج الذهب، ج٣، ص٣٤٧. ابن خلدون. المبتدأ والخبر، ج٣، ص٤٨٩.

٢٢ قنّيتو. خلاصة الذهب المسبوك، ص١٠٩، السيوطي. تاريخ الخلفاء، ص١٨٨.

٢٣ ابن أعثم الكوفي. كتاب الفتوح، ج٨، ص٢٦٠

٢٤ ابن قتيبة. المعارف، ص٩.

وأخذت حركة الترجمة في عهد الرشيد تزداد تطوراً مـع ازديـاد المؤلفـات والكنوز العلمية، ويعود ذلك إلى تطور المادة المستخدمة في الكتابـة، حيـث ظهـر الورق بكميات كبيرة جداً، بعد أن ساد استخدام جلود الجواميس والأغنام والوحـوش المدبوغة واللّخاف[25] والنحاس والحديد وعسب النخيل، وكذلك عظـم أكتـاف الإبـل والأغنام، في عمليات التدوين والكتابة في عهـد الفـرس والـروم وصـدر الدولـة الإسلامية[26] وهذا التطور والحدث الكبير دفع بالخليفة الرشيد إلى أن يراسـل الـروم ويدعوهم إلى فتح خزائن كتبهم في عمورية وأنقـرة[27]، ووضـعها تحـت تصـرف العاملين في الترجمة برئاسة يوحنا بن ماسوية[28]. حيث انصب جهدهم في هذا المجال على ترجمة المؤلفات الفارسية والهندية إلى اللغة العربية[29]، وبرع في هذا الأمر كلّ من أبي سهل الفضل بن نوبخت[30] وابن دهن الهندي[31]، وغيرهم.

---

٢٥ حجارة بيضاء رقيقة. ينظر: القلقشندي. صبح الأعشى، ج٢، ص٥١٥.

٢٦ المصدر نفسه، ج٢، ص٥١٥.

٢٧ ابن جلجل. طبقات الأطباء والحكماء، ص٦٥. ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص٢٤٦.
وعمورية من بلاد الروم فتحها الخليفة العباسي المعتصم ٢٢٣هـ/٨٢٧م. أما أنقرة (التركية) فقد فتحها الخليفة نفسه وهو في طريقه إلى عمورية، عن ذلك ينظر: ياقوت الحموي. معجم البلدان، ج٤، ص١٥٨، ج١، ص٢٧٢.

٢٨ ابن ماسويه مسيحي المذهب سرياني، وكان طبيباً للرشيد. ينظر: ابن جلجل. طبقات الأطباء، ص٦٥. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٢٤٦. ابن العبري. تاريخ مختصر الدول، ص١٣١.

٢٩ النديم. الفهرست، ص٣٠٤، ٣٣٣.

٣٠ فارسي الأصل. المصدر نفسه، ص٣٣٣.

٣١ اهتم بالترجمة من اللغة الهندية إلى اللغة العربية. المصدر نفسه، ص٣٠٥.

وبلغت حركة الترجمة أوجها الذهبي في عهد الخليفة العباسي المأمون[٣٢] الـذي لم يأل جهداً في تقديم العون المادي والمعنوي للعاملين في بيت الحكمة[٣٣]، رغبة منه في مجالسة المشتغلين بالعلم، والاطلاع على ما خلّفته الشعوب والأمم السابقة من آثار وتراث، سيما وأنه

منذ أن أصبح صبياً يافعاً وهو يجالس العلماء والمفكرين ويحاورهم فـي كثيـر مـن القضايا المتعلقة بعلم الفلسفة والأدب والشعر وعلم النجوم[٣٤]. ويبدو أن اهتمامه الكبيـر هذا، كان وراء تشجيعه للترجمة بعد أن تولى مقاليد السلطة، ويستدلّ على ذلك في قول أحد مقربيه له ويدعى يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين: "إن خضنا في الطـب كنـت جالينوس في معرفته أو في النجوم كنت هرمس في حسابه..."[٣٥]. ولـم يتـوان هـذا الخليفة كذلك أن يوجه الدعوات للعديد من العلماء والمترجمين مـن مختلـف البلـدان للمشاركة في عقد ندوات علمية للاستفادة من آرائهم وخبراتهم[٣٦]. وفي هذا الشأن يقول ابن صاعد الأندلسي: "لما أفضت الخلافة إلى الخليفة السابع –أي المأمون- تمم ما بدأ به جده المنصور، فأقبل على طلب العلم في مواضعه، واستخرجه من معادنه بفضـل همّته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة"[٣٧].

---

٣٢ عبد ا المأمون بن هارون الرشيد، ولد١٧٠هـ/٧٨٦م وتوفي ٢١٨هـ/٨٣٣م، وكانت خلافته عشرين سنة ونيف. ينظر: المسعودي. مروج الذهب، ج٤، ص٤. الطبري. تاريخ الرسل،ج٨، ص٦٥٠،٣٦٠.

٣٣ النديم. الفهرست، ص٢٧٤.بدر، عبد الرحيم. عن العرب والنجوم، ص١٣-٥٣. معروف، ناجي. أصالة الحضارة، ص٤٤٢.

٣٤ الكبتي. فوات الوفيات، ج٢، ص٢٣٥ . الذهبي سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٧٣. قنيتو. خلاصة الذهب، ص١٨٧

٣٥ النديم. الفهرست، ص٣٠٠، يدعى هرمس البابلي، وهو عالم في النجوم، اشتهر بكمال العقل وصواب العلم.

٣٦ ابن طيفور. كتاب بغداد، ص١٥١.

٣٧ ابن صاعد الأندلسي. طبقات الأمم، ص٤٨.

على أية حال، كانت الترجمة أول الأمر نقلاً لقلة المترجمين الميسرين، حتى أن يحيى بن خالد بن برمك، طلب إلى جماعة أن يفسـروا لـه "المجسـطي" (الكتـاب الأعظم) فلم يوفّقوا في ذلك كثير، فعرض على غيرهم كـانوا أكثـر مـنهم كفايـة ودراية[٣٨]، والذين ساروا على طريقتين للنّقل:

الأولى: الطريقة اللفظية، وهي الطريقة التي سار عليها يوحنا بن البطريـق، وهـذه الطريقة ذات عيوب كثيرة، فالمجازات والتشابيه والاسـتعارات تختلـف بـين لغـة وأخرى، كما أن تراكيب الجمل يختلف من لغة إلـى أخـرى، والأمـر الآخـر أن المترجمين لم يكن باستطاعتهم النقل من اليونانية إلى العربية مباشرة، فكان بعضـهم يترجم الكتب اليونانية إلى السريانية، ثم يتولى من لديهم إلمام باللغة السريانية بنقلهـا إلى العربية[٣٩]. وهذا الأمر –كما يبدو- دفع الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون إلى بذل الأموال الطائلة والعمل على تهيئة السبل وتذليل المصاعب أمام حركة الترجمـة والتأليف، فقد ورد أن كثيراً من الكتب التي ترجمت من اليونانية إلى العربية في عهد الخليفة المنصور قد أعيد ترجمتها ومراجعتها في عهديهما[٤٠].

الثانية: طريقة المعنى، وهي الطريقة التي اتّبعها حنـين بـن اسـحق والجـوهري وغيرهما، وهي أن يقرأ المترجم العبارة والجملة التي يريد ترجمتها، فيضعها باللغـة العربية أو غيرها بمعنى يطابق ما يقصده كاتب النص[٤١]. ونجاح حنين بن اسحق في تحقيق هذا الإنجاز –كما تشير بعض المصادر- جعلت المأمون لا يبخل في منح هذا

---

٣٨ بدر، عبد الرحيم. عن العرب والنجوم، ص١٣-٥٣.

٣٩ العاملي. الكشكول،ج١، ص٣٨٨. أمين، حسين. الترجمة في بغداد، المورد،مج٣، عدد٣، ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م، ص١٦.

٤٠ العدوي، إبراهيم أحمد. المسلمون والجرمان، ص١٤٣.

٤١ العاملي. الكشكول، ج١، ص٣٨٨.

المترجم من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية[42]، وعلى الرغم من أن مثل هذه الرواية قد تثير الدهشة والمبالغة، ولكننا نلمس منها العناية الكبيرة التي كان العلماء والمترجمون يلقونها من هذا الخليفة وغيره.

لم يقف نشاط حركة الترجمة في العصر العباسي إلى عهد هارون الرشيد وابنه المأمون، بل امتدت إلى عهد الخليفة المتوكل -كما ورد في المصادر المتوافرة- فأغدق مع وزرائه الأموال الضخمة على المترجمين الذين انصبت اهتماماتهم على ترجمة المخطوطات اليونانية في مختلف صنوف العلم والمعرفة، وكادوا لا يبقون على كتاب دون ترجمة أو دون شرح وتلخيص، فقد بلغ ما ترجمه الواحد منهم ممن اتصف بالخبرة والدراية مئات الكتب والرسائل.[43]

ويرى جرجى زيدان أن أجمل ما في الترجمة في هذا العصر، هو انتقال أمرها من الخلفاء إلى أيدي الناس خارج نطاق السلطة، فبعد أن اطّلع أبناء شاكر -على سبيل المثال- على الكتب المترجمة إلى اللغة العربية، نهضوا واقتدوا بالخلفاء في ترجمتها، وبذلوا الأموال الكثيرة في سبيل ذلك، وفضلاً عن هذا كله، فقد كان لهؤلاء مؤلفات في الفلك والهندسة[44].

لقد قطع العباسيون شوطاً كبيراً في هذا المجال، فحرصوا على الاستفادة من خبرات المترجمين من مختلف الجنسيات والأديان، كحنين بن أسحق ويوحنا بن ماسويه وقسطا بن لوقا وثابت بن قرة وغيرهم[45]. ولعل الأعداد الكبيرة من الكتب

---

٤٢ ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص١٨٧.

٤٣ النديم. الفهرست، ص٣٣٩-٣٤٠.

٤٤ ابن القفطي. أخبار العلماء بأخبار الحكماء،ص٢٨٧. النديم. المصدر نفسه، ص٣٣٩-٣٤٠، زيدان، جرجي. تاريخ التمدن الإسلامي، ج٣، ص١٦٩.

٤٥ النديم. المصدر نفسه، ص٣٣٧.

المترجمة كما ظهرت في كتاب الفهرست للنديم يشير بوضوح إلى أن العباسيين لم يعتمدوا على مثل هؤلاء العلماء فحسب، بل لجأوا إلى الاستفادة من سكان البلاد الحدية الذين وقعوا في الأسر وكانوا على معرفة دقيقة باللغات الأجنبية كالسريانية والفارسية واللغة العربية، كذلك قد يكون للجواري دور في تعليم لغاتهن المختلفة لأبناء العرب في بغداد حيث يوجد مركز الترجمة.

ومهما يكن من أمر فقد قام الخليفة المأمون بإجراء اتصالاته الدبلوماسية مع الإمبراطور البيزنطي ليو (820-813م)، ومهد لسفرائه من العلماء مد جسور التواصل الثقافي مع الحضارات الأخرى حين نجحوا في الاطلاع على الكتب المكدسة في خزائن الإمبراطورية البيزنطية، ونقلوا منها مصنفات الإغريق في الطب والهندسة والفلسفة[٤٦]. كما أرسل المأمون بعثة علمية أخرى إلى قبرص[٤٧] التي كانت لا تزال تحت السيادة البيزنطية، وتألفت هذه البعثة من كل من محمد وأحمد والحسن بنو شاكر المنجم وحنين بن اسحق والحجاج بن مطر والبطريق وغيرهم[٤٨]. ووصفت هذه البعثة خزانة كتب الروم بأنها عبارة عن "هيكل قديم البناء عليه باب لم ير أعظم منه... وكان ملك الروم قد أغلقه ولم يسمح بدخوله"[٤٩]، ولذلك نجد أن هذا الملك قد رفض في بادئ الأمر أن يفتح خزائن الكتب المكدسة أمام البعثة، على الرغم من توقيعه صلحاً مع الخليفة العباسي المأمون، ولكنّه لم يلبث أن عدل عن قراره هذا بعد تدخّل أحد المطارنة الذي لعب دوراً هاماً في إقناعه بالاستجابة لطلب المأمون الذي لم يخف عن سروره بهذه الموافقة[٥٠]. ويبدو أن وساطة المطران هذه قد جاءت نتيجة

---

٤٦ النديم. الفهرست، ص٣٣٧.

٤٧ السيوطي. تاريخ الخلفاء، ص٢٢٣.

٤٨ ابن صاعد الأندلسي. طبقات الأمم، ص٥٥. ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص٢٥٧، ٢٥٩. ابن جلجل . طبقات الأطباء، ص٦٧-٦٩. ابن العبري. مختصر تاريخ الدول، ص١٣٨. النديم. الفهرست، ص٣٠٤.

٤٩ النديم. المصدر نفسه، ص٣٠٤.

٥٠ فراج، عز الدين. فضل علماء المسلمين، ص١٤.

أحد سببين، الأول: الخطر العسكري الكبير الذي قد تداهم به القوات العباسية قبرص وتحدث بها تدميراً كبيراً ويهدد الوجود البيزنطي فيها، أما السبب الثاني فإنه قد يعود إلى قناعة هذا المطران بأهمية الحوار وبناء جسور التواصل الثقافي والحضاري مع العرب من خلال بعث الكنوز العلمية الثمينة للأمم والشعوب الغابرة.

وكانت موافقة ملك الروم هذه قد أعطت أعضاء لجنة البعثة العلمية الحرية الكاملة في الاطلاع على جميع الكتب المحظورة منها كالفلسفة وغير المحظورة، ووجدوا أن كثيراً منها قد تعرض لعوامل التلف والعثّ والتمزق[٥١]، بسبب الرطوبة الناتجة عن إغلاق غرفها بإحكام منذ فترة زمنية بعيدة والحيلولة دون وصول المهتمين بالبحث والدراسة إليها. وأخذت هذه البعثة بنقل تلك الكتب إلى بيت الحكمة في بغداد، وقد قدرت بعض المصادر التاريخية المتوافرة عدد الجمال التي خصصت لذلك بألف منها[٥٢]. وقد يبدو في حجم هذه القوافل مبالغة، ولكنه يعطي صورة عن ضخامة خزائن كتب الروم من ناحية ومدى جاهزية بيت الحكمة والعاملين فيه في دراسة هذه الكتب والمخطوطات وترجمتها والتعليق عليها أو تعديلها. وشملت هذه الكتب صنوفاً مختلفة من العلوم والفنون كالفلسفة والهندسة والموسيقى والطب والفلك لمشاهير العلماء والحكماء والمفكرين كإقليدس وبطليموس وأفلاطون وأرسطو وابقراط وجالينوس.....[٥٣]

ومع وصول هذه المخطوطات والكنوز العلمية التراثية إلى بيت الحكمة، ترتب على العاملين فيه أن يكونوا على قدر كبير من الثقافة والأمانة العلمية وتوفير الكفاءات القادرة على الترجمة الدقيقة الساعية إلى فتح حوار وتواصل مع الحضارات

---

٥١ النديم. الفهرست، ص٣٠٤.

٥٢ ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ص٢٦٠. ابن النديم. المصدر نفسه، ص٣٠٤.

٥٣ حاجي الخليفة. كشف الظنون، ج١، ص٣٤. الدنيوري،. الأخبار الطوال، ص٤٠١.

الأخرى، ولذلك ومن خلال دراسة بعض المصادر المتوافرة يمكن القـول أن بيـت الحكمة شمل الأقسام الآتية:

قسم الترجمة والتدقيق: وتولى العمل فيه ذوو خبـرة فـي الترجمـة وبراعـة الأسلوب الذي يدفع الباحثين والطلبة إلى شغف المطالعة[٥٤]، وكان هذا القسـم يضـم أجنحة عدة في ترجمة الكتب اليونانية والسريانية[٥٥]، جناح لترجمة كتـب النجـوم[٥٦]، وجناح لترجمة كتب الفلسفة[٥٧]، ولكلّ جناح رئيس[٥٨]، الذي تركزت مهمته فيما يبـدو إلى توجيه المترجمين وإعطائهم التعليمات المناسبة في هذا الحقل، فقد تـولى عمـر الفرخان –على سبيل المثال- رئاسة جناح ترجمة علم النجوم، ويوحنا ابن البطريـق جناح الفلسفة لشهرة كل منهما بعلمه[٥٩]. وكان حنين بن أسحق على رأس المترجمين جميعاً، الذي منحه المأمون –كما يفهم من المصادر المتـوافرة- صـلاحية إغـداق الأموال الطائلة على المترجمين، فكان الواحد منهم يتقاضى راتباً مقـداره خمسـمائة دينار وأحياناً –كما ذكرنا سابقاً- يمنح زنة كل كتاب يتم ترجمته ذهباً[٦٠]، ولعل ذلـك يشير إلى الجهد الكبير الذي يبذلونه في هذا المضمار، فضلاً عـن تشـجيعهم فـي الاستمرار في نشر العلم والثقافة بين الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية.

---

٥٤ حاجي خليفة. المصدر نفسه، ج١، ص٣٤. ابن العبري.. تاريخ مختصر الدول، ص١٣٦. ابن قتيبة.المعارف، ص١٠.

٥٥ ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص٢٥٩. النديم. المصدر نفسه، ص٣٤٣،٣٥٦.

٥٦ ابن صاعد الأندلسي. طبقات الأمم، ص٥٥.

٥٧ ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص٢٥٩. النديم. المصدر نفسه، ص ٣٤٣، ٣٥٦.

٥٨ ابن صاعد الأندلسي. طبقات الأمم، ص٥٥.

٥٩ ابن صاعد الأندلسي. طبقات الأمم، ص٥٥. ابن قتيبة. المعارف، ص١٠. ابن العبري. تاريخ مختصر الدول، ص١٣٨.

٦٠ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٢٦٠. النديم. الفهرست، ص٣٠٤.

وبعد الانتهاء من عملية الترجمة لأي كتاب، يعرض علـى لجنـة تخـتص بتدقيقـه وتصويب الأخطاء التي قد يقع فيها المترجم[٦١].

ثم يتبع الإجراء الأخير بوضع علامة خاصة تسمى "بعلامة المأمون"[٦٢] إشـارة إلى الانتهاء من عملية التصويب والتدقيق للكتاب والسماح بوضعه بين أيدي القـراء والباحثين.

وشمل بيت الحكمة قسم خاص بتأليف الكتب الجديدة في مختلف العلوم والفنون واستندوا في مؤلفاتهم على دراساتهم وأبحاثهم فـي مخطوطـات وكتـب اليونـان والرومان، فقد قام الخوارزمي بتأليف كتاب جديد في علم الهيئة والنجوم، إلى جانب كتاب عمل الاسطرلاب وكتاب التاريخ[٦٣] وكتاب الجبر الذي كان أول كتاب مسـتقلّ بهذا الموضوع[٦٤]. ومن بين مؤلفي بيت الحكمة ابن حنين الذي وضع كتاباً في تاريخ الأطباء، وكتابه الأدوية المفردة[٦٥] الذي شمل أنواعاً جديدة من الأدوية التي اكتشـفت من قبل أطباء عرب عرفوا بالبحث والمهارة.

وفي هذه المؤسسة عمل فنيون في مجال تجليد الكتب، حماية لها مـن خطـر العث والتمزق لكثرة استخدامها من قبل المهتمين بالتثقف والمطالعـة، وبخاصـة أن الكتب القيمة قد كلّفت خزينة الدولة أموالاً طائلة شملت الترجمة والتدقيق وما إلى ذلك من أمور تتعلق بإخراج الكتب بصورتها العلمية والواضحة.

---

٦١ ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص٢٦٠.

٦٢ النديم. المصدر نفسه، ص٣٣٣. ابن طيفور. كتاب بغداد، ص٣٥.

٦٣ ابن قتيبة. المصدر نفسه، ص١٠.

٦٤ النديم. المصدر نفسه، ص٣٥٦.

٦٥ المصدر نفسه، ص١٢.

وإلى جانب هذا كله، فقد أضاف المأمون إلى بيت الحكمة قسماً خاصاً برصد الكواكب والنجوم، ويشرف عليه العالم اليهودي الأصل سند بن علي، واعتمد العباسيون في هذا العلم الهام على كتاب المجسطي (الكتاب الأعظم) الذي جاء فيه وصفاً للاسطرلاب وعمله، ثم اهتدوا إلى تطويره وتعديله وجعله يعمل بصورة أفضل مما كان عليه الحال أيام الإمبراطورية الرومانية[٦٦]. لقد أبدى المأمون من وراء هذا حرصه في متابعة جهود علماء اليونان والرومان في رصد الكواكب وحركاتها، فأوعز للقائمين عليه ببناء أماكن للرصد في الشماسية –أعلى مدينة بغداد- وأعلى جبل قاسيون بدمشق[٦٧]، ومن بين العلماء الذين اشتهروا بهذا الحقل، يحيى بن أبي المنصور الذي وضع كتاب الزيج الممتحن وكتاب مقالة في عمل ارتفاع سدس ساعة لعرض مدينة بغداد[٦٨]، ومنهم أيضاً حبش المروزي وابن نوبخت وبنو شاكر، الذين رصدوا كواكب الجدي والمشتري وعطارد والعقرب والزهرة[٦٩]، وازداد علم الرصد تطوره في عهد الخليفة المعتصم، فظهر في عهده أبو جعفر النبهاني وأحمد البغدادي اللذين عرفا ببراعتهما في رصد الكواكب والحسابات الفلكية[٧٠].

ونختم دراستنا المتواضعة حول بيت الحكمة وخزائن الكتب الأخرى بقول القلقشندي، إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن[٧١]:

---

٦٦ ابن صاعد الأندلسي. طبقات الأمم، ص٥٠. النديم. الفهرست، ص٣٤٢.

٦٧ ابن صاعد الأندلسي. المصدر نفسه، ص٥٠. مختصر تاريخ الدول، ص١٣٧. الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٢٧٣.

٦٨ النديم. الفهرست، ص٣٣٤.

٦٩ ابن العبري. تاريخ مختصر الدول، ص١٣٦.

٧٠ المصدر نفسه، ص١٣٧. ابن صاعد. المصدر نفسه، ص٥٤-55.

٧١ القلقشندي. صبح الأعشى، ج١، ص٥٣٧.

الأولى: خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد، كان فيها عدد ضخم من الكتب، وظلت كـذلك حتى داهمها التتار 656هـ/1258م، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها وأُعفيت آثارها.

الثانية: خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر، وكانت من أعظم الخزائن، وأكثرهـا جمعـاً للكتب النفسية من جميع العلوم، واستمرت كذلك حتى استيلاء صـلاح الـدين الأيوبي على مصر.

الثالثة: خزانة خلفاء بني أمية بالأندلس، وكانت من خزائن الكتـب الجليلـة، وظلّـت مزدهرة حتى انقراض دولة بني أمية، فذهبت كتبها كلّ مذهب.

خاتمة:

إن نشاط حركة الترجمة وما صاحبها من تطور علمي يظهر بوضوح شـغف الخلفاء العباسيين ورغبتهم في مواكبة النشاط الفكري، والوقوف على ما وصلت إليه الحضارات الأخرى في هذا المجال[٧٢]. ويمكن القول إن نشاط حركة الترجمـة فـي العصر العباسي كان لها آثارها، فبالإضافة إلى خلق نـوع مـن الحـوار والتفاعـل الحضاري، فقد خلقت نهضة علمية كبيرة، كان لها دورها العظيم في ازدهار العلـوم والآداب في بغداد، وصار العلماء يترجمون رغبة في الاطلاع وتغذية العقل والتأليف والكتابة، وظهور خيرة العلماء في شتى الحقول والمجالات، مما أدى إلـى انتشـار الكتب العلمية في الدولة العباسية، واستقطاب بغداد للعديد من العلماء والطلبـة مـن مختلف أنحاء الغرب الأوروبي[٧٣].

ومن نتائج حركة الترجمة في عاصمة الرشيد، تطور الطب وانتشار علوم الفلك والرياضيات والبصريات، وابتكار نظريات جديدة في الرياضيات وعلم الجبر وتطور العلوم الهندسية، وتشجيع الرحلات العلمية والجغرافية، وغيـر ذلـك مـن العلـوم والمعارف حتى غدت بغداد محط أنظار العلماء والمثقفين، وحظيت بمكانة مرموقـة بفضل بيت حكمتها ومراكزها العلمية المتطورة.

ونختم هذه الدراسة بقول روبرستون:

"في الزمن الذي كان فيه العرب يبحثون العلوم المختلفة ويتدارسونها وينشرونها على الناس، كان أهل أوروبا في جهل مطبق، وسبات عميـق، ولـم يسـتيقظوا إلا بعـد

---

٧٢ النديم. الفهرست، ص٣٧١-٤٨٤. ينظر أيضاً: بينز، نورمان. الإمبراطورية البيزنطية، ص٣٨٠.

٧٣ الرافعي، مصطفى. التراث العربي، ص١-١٦.

الحروب الصليبية، لأنهم حينئذ اختلطوا بالعرب والمسلمين، فوجدوا لديهم علوماً لـم يعرفوها إلاّ بهم، وحضارة اقتبسوها منهم وأدخلوها إلى بلادهم"[٧٤].

٧٤ المرجع نفسه.

مصادر ومراجع الدراسة

أولاً: المصادر

1. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني. الكامل في التاريخ، (دار صادر، بيروت، 1979).
2. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، (مكتبة الحياة، بيروت،1965).
3. ابن أعثم الكوفي، أبي محمد أحمد، (ت314هـ/926م)، كتاب الفتوح، (ط1، حيدر آباد- الهند، 1975).
4. أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (150-255هـ/767-868م)، البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوبي، (ط2، المطبعة الرحمانية، مصر،1932). وآخر تحقيق عبد السلام محمد هارون،(دار الجيل، بيروت).
5. ابن جلجل، أبي سليمان بن حسان الأندلسي، (ت بعد 384هـ/994م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955).
6. الجهشياري، أبي عبد الله محمد بن عبدوس. كتاب الوزراء والكتّاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، (ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1938).
7. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تعليق محمد شرف الدين ورفعت بيلكة الكليسي، (وكالة المعارف الجديدة، 1941).
8. الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي، (ت436هـ/1044م)، تاريخ بغداد، (المكتبة السلفية، المدينة المنورة).
9. ابن خلدون، عبد الرحمن. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن جاورهم من ذوي السلطان الأكبر، (دار الكتاب اللبناني).

10. ابن خلكان، أبي العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (608-681هـ/ 1211-1282م)، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، (دار صادر، بيروت) وآخر تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (مكتبة النهضة المصرية).
11. الدنيوري، أبي حنيفة أحمد بن داود، (ت282هـ/895م) الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر (دار المسيرة، بيروت).
12. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748هـ/ 1374م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، (مؤسسة الرسالة).
13. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، (ت911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة، (إدارة الطباعة المنيرية، مصر 1351هـ/1932م).
14. ابن صاعد الأندلسي، أبي القاسم صاعد بن أحمد، (ت462هـ/1070م)، كتاب طبقات الأمم، (نشر الأب لويس شيخو اليسوعي، (المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912م).
15. ابن الطقطقي، محمد بن علي طباطبا، (ت709هـ/1309م). الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (دار صادر، بيروت، 1966م).
16. ابن طيفور، أبي الفضل أحمد بن طاهر الكاتب، (ت280هـ/893م)، كتاب بغداد، تحقيق محمد زاهد بن حسن الكوثري، 1949.
17. العاملي، بهاء الدين، (1031هـ/1621م)، الكشكول، ج1، ترجمة أحمد الزاوي، (القاهرة، 1961).
18. ابن العبري، غريغوريوس الملطي، (1226-1286م)، تاريخ مختصر الدول، (المطبعة الكاثوليكية، بيروت).
19. ابن القفطي، الوزير جمال الدين علي بن القاضي الأشرف، (ت646هـ/1248م) أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (دار الآثار للنشر، بيروت، د.ت).

20. ابن قتيبة، أبي محمد عبد ا بن مسلم (276-213هـ/889-828م)، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، (مطبعة دار الكتب، 1960).
21. القلقشندي، أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق محمد حسين شمس، (دار الفكر ودار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م).
22. قنيتو، عبد الرحمن سنبط الأربلي، (ت717هـ/1317م)، خلاصة الذهب المسبوك المختصر من سير الملوك، تصحيح مكي السيد قاسم.
23. ابن كثير، أبي الفداء الحافظ الدمشقي، (ت774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، (ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م).
24. المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين، (ت346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (دار الفكر ودار الأندلس، بيروت).
25. النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب أسحق المعروف بالوراق، الفهرست، تحقيق رضا المازندراني، (دار المسيرة، 1988).
26. اليافعي، عفيف الدين عبد ا بن أسعد اليمني، (768-698هـ/1366-1290م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبد ا الجبوري، (مؤسسة الرسالة).

ثانياً: المراجع

1. أمين، حسين. الترجمة في بغداد أيام العصر العباسي الأول، المورد، مجلة تراثيـة فصـلية تصـدرها وزارة الإعـلام، الجمهوريـة العراقيـة، مـج3، عـدد 3، 1394هـ /1974م.
2. بدر، عبد الرحيم. عن العرب والنجوم، مجلة التراث العربي، (دمشـق، عـدد7، السنة الثانية، 1982).
3. بينز، نورمان. الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة حسن مؤنس ومحمد يوسف زايد، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1985).
4. دوليل، جان. تاريخ الترجمة. ترجمة كاميليا صبحي، مجلة الأندلس للترجمة، عدد، (كلية الألسن، جامعة عين شمس، يونيو 2003).
5. الرافعي، مصطفى. التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، (دمشق، عدد1، السنة الأولى، 1979م).
6. زيدان، جرجي. تاريخ التمدن الإسلامي، ج3، (دار الهلال، د.ت).
7. العدوي، إبراهيم أحمد. المسلمون والجرمان،(ط1، القاهرة، 1960).
8. فراج، عز الدين. فضل علماء المسلمين على الحضـارة الأوروبيـة،(دار الفكـر العربي، القاهرة).
9. معروف، ناجي. أصالة الحضارة العربية، (ط3، دار الثقافة، بيروت، 1975).